

# سياقات الدعاء والابتهال في آل عمران وغاياتها

الدكتورة وسن محمود لطيف

الجامعة العراقية - كلية التربية للبنات

## الملخص

(سياقات الدعاء والابتهال في آل عمران وغاياتها).

قسمتُ البحثُ على مقدمةٍ ومبحثين وخاتمة.

درستُ في المبحث الأول: الدعاء، وهو تعبير عن ظاهرةٍ روحيةٍ مستقلة تتطرق من إحساس النفس المؤمنة، وقد قسمتهُ على مطلبين.

ضم الأول: سياق الحال الذي كان جزءاً من سياق المقام، وهو يصور الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية للمتكلم.

أما المطلب الآخر: فقد شرعتُ فيه بالحديث عن السياق التربوي في القرآن الكريم، وهو سياق جزئي، له ارتباط وثيق بسياق الحال، أو سياق المقام، وقد تخصص السياق التربوي هنا في مجال التربية للجماعة المسلمة التي يكشف لها البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تتضبط باليقظة الدائمة.

وفي المبحث الثاني: تناولتُ الابتهال، ووصحتُ فيه أن الابتهال لا يكون إلا لله وحده لا شريك له، وأن حقيقة الألوهية الواحدة في الابتهال له، ثم حقيقة أن الدنيوية لا تكون إلا لله القيوم. الواحد الأحد.

### Abstract

This paper is titled (contexts of supplications and invocations in Surat AL-Imran and their objectives)

So, the paper is divided into introduction, two chapters and conclusions.

And the first chapter deals with supplication, it means an independent spiritual phenomenon derived from believers, and it sub-divided into two demands:

The first one included context of manner which is part of context of situation. Moreover, it depicts the social, psychological and cultural environment of the speaker whereas; the second one was about the context of pedagogy in the Glorious Qur'an, it is a partial context deeply related to context of manner or context of situation. Furthermore, the context of pedagogy is specialized in Muslim group pedagogy that discovers the hidden instinctive motives where deviation is started from this point if there is no permanent vigilance.

As for the second chapter, it is about invocation and I explained that invocation must be for Al-mighty Allah only; the reality of Al-mighty Allah's oneness of invocation is for him only. Then, the worldly reality is dedicated for Al-mighty Allah as well.

## مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربَّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله المبعوث رحمة مهداة إلى العالمين وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.  
ويعد...

فقد جعل الله الوجود متسقاً في كائناته وموجوداته، منتظماً من مبدئه إلى معاده، وأنزل كتاباً تناسقت حقائقه وتناغمت مع حقائق الكون بما بهر عيون الناظرين، وأبصر به قلوب الغافلين، فتجلت أبصار الحقائق وعيون المعاني بانتظام الكتاب المنشور واتساقه، مع الكتاب المسطور، فأشرب الكون ماء حياته، وأعطى حقه ومستحقه، من صفات الكمال الدالة على صاحب العدل المطلق، فوجد الأشياء بعد فنائها، فلهُ المجدُ الأسنى.

وقد يسر الله لي أن أحظى بشرف خدمة كتاب الله، وأن أرتبط به من خلال موضوع بحثي هذا، وهو (سياقات الدعاء والابتهال في آل عمران وغايتها).

قسمتُ البحثُ على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

درستُ في المبحث الأول: الدعاء، وهو تعبير عن ظاهرة روحية مستقلة تتطلق من إحساس النفس المؤمنة، وقد قسمتهُ على مطلبين.

ضم الأول: سياق الحال الذي كان جزءاً من سياق المقام، وهو يصور الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية للمتكلم.

أما المطلب الآخر: فقد شرعتُ فيه بالحديث عن السياق التربوي في القرآن الكريم، وهو سياق جزئي، له ارتباط وثيق بسياق الحال، أو سياق المقام، وقد تخصص السياق التربوي هنا في مجال التربية للجماعة المسلمة التي يكشف لها البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تتضبط باليقظة الدائمة.

وفي المبحث الثاني: تناولتُ الابتهال، ووصحتُ فيه أن الابتهال لا يكون إلا لله وحده لا شريك له، وأن حقيقة الألوهية الواحدة في الابتهال له، ثم حقيقة أن الدنيوية لا تكون إلا لله القيوم. الواحد الأحد.

والله من وراء القصد

## المبحث الأول الدعاء

الدعاء تعبير عن ظاهرة روحية مستقلة تنطلق من إحساس النفس المؤمنة بعظمة من تلجأ إليه، وعبوديتها له وحاجتها للإرتباط به. ولهذا فالدعاء في اللغة يعني (أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك تقول دعوت فلاناً أدعوه دعاءً أي ناديتُهُ وطلبت إقباله، وأصله دُعاؤٌ إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف هُزمت)<sup>(١)</sup>

أما في الاصطلاح: فهو (طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة)<sup>(٢)</sup>.  
وبما قلنا إن الدعاء عبودية لله تعالى والحاجة للإرتباط به فدعاء العبد ربه جلَّ جلاله: طلب العناية منه، واستمداده إياه المعونة)<sup>(٣)</sup>.

ويقال: (دعوت الله أدعوه دعاءً، ابتهلتُ إليه بالسؤال، ورغبتُ فيما عنده من الخير)<sup>(٤)</sup>.  
ومن هنا نرى أن دعاء الله سبحانه وتعالى يوقظ القلوب من الغفلة، ويمد روح الإنسان بالتفاعل مع الحياة فتتسبر الأسباب لحاجته المشروعة، وتكون لديه القوة النفسية لمواجهة المشاكل، ليكون الدعاء يعني الاعتماد على القدرة المطلقة لذات الله سبحانه وتعالى التي تحكم الكونين.

وللدعاء في سورة آل عمران حضور لافت، إذ يشيع فيها بكثافة منذ بدايتها عقب الحديث عن تأويل كلام الله المنزل في كتبه المقدسة وإيمان الراسخين في العلم به على مر العصور، هؤلاء الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بـ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup>.

فوضع على ألسنتهم الدعاء الرقيق في قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٦)</sup>. وسيوضح ذلك لنا

سياق الحال.

### المطلب الأول: سياق الحال

مما سبق نفهم من هذا المقام في ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (أن يكون من تمام الراسخين ويؤول المعنى في أفعال العبادة - ظاهرة)<sup>(٧)</sup> وهو يصور سياق الحال: ويتمثل في الظروف الإجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم، والمشاركين في الكلام أيضاً.

ويرى الدكتور تمام حسان أن (فكرة "المقام" هذه هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي يُبنى عليه الشق أو الوجه الإجتماعي من وجوه المعنى)<sup>(٨)</sup>.

ومن هنا نستطيع أن نقول إن سياق الحال أو سياق المقام هو السياق الخارجي الذي يؤطر الكلام ويصفه في إطار زمني تاريخي ومكاني ومقاصدي إي: إن السياق الذي يؤخر الدعاء هو الهداية التي سبقت الدعاء، فجاء هذا الدعاء من أجل الإبقاء عليها بعد أن استيقن الدعو ان فضل الهداية.

فنلاحظ أن سياق حال المسلمين من ربهم حقق الغاية المرجوة من الدعاء في الآية السابقة فهو (دعاء علمه النبي صلى الله عليه وسلم- تعليماً للأمة: لأن الموقع المحكي موقع عبدة ومثار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ فهاهم إلا من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول المشاعر، فما كان ضلالهم إلا عن حرمانهم التوفيق، واللفظ، ووسائل الاهتداء)<sup>(٩)</sup>.

أما قوله ﴿إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْنَا لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ﴾<sup>(١٠)</sup> فهو (تحقيق للدعوة على سبيل التلطف؛ إذ أسندوا الهدى إلى الله تعالى، فكان ذلك كراماً منه، ولا يرجع الكريم في عطيته، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم- من السلب بعد العطاء)<sup>(١١)</sup>.

فهنا يبين حال المسلمين أنه كما ورد الدعاء على لسان الأنبياء ورد على لسان المؤمنين أيضاً إذ (يتجه المؤمنون إلى ربهم بذلك الدعاء الخاشع ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وينادون رحمة الله التي أدركتهم مرة بالهدى بعد الضلال، ووهبتهم هذا العطاء الذي لا يعده عطاء، وهم بوحى إيمانهم يعرفون أنهم لا يقدرون على شيء إلا بفضل الله ورحمة.

وأنهم لا يملكون قلوبهم فهي في يد الله... فيتجهون إليه بالدعاء أن يمدهم بالعون والنجاة)<sup>(١٢)</sup> فنلاحظ هنا أن الدعاء الوارد في بداية السورة الكريمة ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْنَا لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ﴾<sup>(١٣)</sup> هذا الدعاء الكريم كان مسبقاً بالفعل (يقولون) وهو فعل مضارع في قوله ﴿وَمَا يَعْزِمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١٤)</sup> فهذا هو حال الراسخين في العلم من ربهم وهو الحال اللائق بالإيمان المنبثق من الطمأنينة لقول الله ووعده والثقة بكلمته وعهده والمعرفة بحرمة وفضله، ثم يتجه الخطاب القرآني بالحديث عن الذين كفروا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ

شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغَلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسْأَلُونَ لَكُمْ آيَةً فِي فَتْنَيْنِ أَلْتَقَاتَا فِئَةً تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرِيهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَوَبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴿١٥﴾ فالدعاء هنا جاء بصيغة فعل أمر مباشر، وذلك باستخدام فعل الأمر (قل) والأمر (١٦) يظهر في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغَلِبُونَ﴾ ﴿١٧﴾ إذ إن سياق حال الكافرين الذي يقابل دعاء المؤمنين هو التكذيب، لذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فهو أكثر دلالة على حالهم من اعتدادهم بكثرة أولادهم وأموالهم.

### المطلب الثاني: السياق التربوي

نستنتج من سياق الحال السياق التربوي في القرآن الكريم وهو سياق جزئي، له ارتباط وثيق بسياق الموقف أو المقام، وهو مختص في مجال التربية للجماعة المسلمة التي يكشف لها عن البواعث الفطرية الخفيفة التي من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تتضبط بالليقظة الدائمة.

ونلاحظ إن الجانب التربوي حقق غاية في سورة آل عمران بالحديث عن حُب الشهوات في قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾﴾ ﴿١٨﴾ حيث (يعرض النص القرآني الذي يتوالى هذا التوجيه التربوي... هذه الرغائب والدافع، ويعرض إلى جوارها على إمتداد البصر ألواناً من لذائذ الحس والنفس في العالم الآخر، ينالها من يضبطون أنفسهم في هذه الحياة الدنيا عن الاستغراق في لذائذها المحببة، ويحتفظون بإنسانيتهم الرفيعة) (١٩).

فالسبب القرآني يجمع وفي آية واحدة هنا (أحبَّ شهوات الأرض إلى نفس الإنسان: النساء، والبنين، والأموال المكدسة، والخيول، والأرض المخصبة، والأنعام، وهي خلاصة للرغائب الأرضية... إما بذاتها، وإما بما تستطيع أن توفره لأصحابها من لذائذ أخرى... وفي الآية التالية لُعرض لذائذ أخرى في العالم الآخر... جنات تجري من تحتها الأنهار. وأزواج مطهرة، وفوقها رضوان الله... وذلك كله لمن يمدُّ ببصره إلى أبعد من لذائذ الأرض... ويصل قلبه بالله) (٢٠).

ثم يعجب السياق التربوي من أهل الكتاب ويشهر بأمرهم في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
 أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ  
 نَمَسَّكَ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ  
 كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴿٢١﴾

إذ يدعون أنهم على دين الله، وينقضون عهد الله بنقضهم دعوى التدين من الأساس، فلا دين  
 غير دين الإسلام، وبهذا الجزم القاطع يقرر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم معنى الدين وحقيقة  
 التدين، فلا يقبل من العباد إلا صورة واحدة ناصعة قاطعة في السياق التربوي إلا وهو: الدين  
 الإسلام، والإسلام التحاكم إلى كتاب الله وطاعته وإتباعه ويكشف السياق لنا هذا من خلال التحذير  
 والتبصير، بأن الله وحده مالك الملك وستتناول هذه الآيات في مبحث الابتهاال<sup>(٢٢)</sup>.

## المبحث الثاني الابتهاال

**الابتهاال:** معناه التضرع والمبالغة في المسألة، وهو بمعنى التضرع والاجتهاد في الدعاء<sup>(٢٣)</sup>  
 وهو (التدلل والمبالغة في السؤال والرغبة، يقال ضرع، يضرع، بالكسر والفتح، وتضرع إذا خضع  
 وذل)<sup>(٢٤)</sup>

وللابتهاال في سورة آل عمران حضور لافت، إذ جاء هنا رداً على ادعاءات اليهود  
 وتحرفاتهم فكان مسبقاً بفعل الأمر (قل) وكذلك كل الردود التي قابل بها النبي صلى الله عليه وسلم  
 اليهود في قوله تعالى ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ ﴾<sup>(٢٥)</sup>

ليكرر فعل الأمر بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ لِّلَّذِيْنَ اٰتَقُوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِيْ مِنْ  
 تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَاَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بِبَصِيْرٍ بِالْعٰبِدِ ﴿١٥﴾ ﴾<sup>(٢٦)</sup>

فهنا أمر وهو ترهيب أي (ترهيب بغير استدلال صريح ولكن بالإيماء إلى الدليل وذلك في  
 قوله تعالى: ﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ يَأْتِيَتِ اللّٰهُ وَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُوْنَ الَّذِيْنَ يَأْمُرُوْنَ  
 بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾<sup>(٢٧)</sup>

ثم بطريق التهديد والإنذار التعريض بقوله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ ﴿٢٨﴾ أَلْمَلِكِ ﴿٢٨﴾ ثم أمر بالقطيعة في قوله تعالى ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٩﴾. (٣٠)

فتكرار فعل الأمر هنا وهو في الفعل (قُلْ) في جانب الحجاج والمجادلة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ لِوَجْهِ اللَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣١﴾

فقوله (فقل أسلمت وجهي لله) هو (انتقال من تمهيدات سبب السورة إلى واسطة بين التمهيد والمقصد، كطريقة التخلص، فهذه تخلص المحاجة وفد نجران في أول سورة آل عمران) (٣٢)، ونجد أن كلمة (فبشرهم) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٣﴾

أمر يقترب من الفعل (قُلْ) لكن الفارق أن (قُلْ) فيما سبق كادت تحمل سياقاً أطول، أما (فبشرهم) فكان (المقام مقام ملام لا توبيخ، ومقام لا تنديم، وإما شاكلة تقديرية لأنهم لما خرجوا للحرب خرجوا طالبين الثواب، فسلخوا مسالك باعوا معها بعقاب) (٣٤). وفيما يبدو أن نكتة هذه المشاكلة (أن يتوصل بها إلى الكلام على ما نشأ عن هذا الفم من عبرة، ومن توجه عناية الله تعالى إليهم بعدة) (٣٥)

فالسباق هنا هو (تقرير مصير الذين كفروا، وسنة الله تعالى التي لا تتخالف في أخذهم بنزوبهم، وإلى تهديد الذين كفروا من أهل الكتاب، ويقفون لهذا الدين، ويلقن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- أن ينذرهم ما رأوه بأعينهم في غزوة بدر من نصر القلة المؤمنة على حشود الكافرين) (٣٦)

أما سياق حال المتقين من ربهم في قوله تعالى ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَابِ ﴿٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ (٣٧)

فقد كان حالهم يخصصون الاستغفار بالسحاب، لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة إذ العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروح أجمع (٣٨). وهو حال استحقوا عليه هذا الرضوان وفي دعائهم ما ينم عن تقواهم، وهو إعلان للإيمان، وشفاعة به عند الله، وطلب المغفرة، وتوق من النيران (٣٩).

ونستتج من هذا أننا بينى حال المؤمنين الذين يتضرعون إلى الله بالدعاء لطلب المغفرة ورضوان الله تعالى.

ومن ثم جاء الابتهاال منسفاً بدأ بوصف أحوال العباد من حيث الإيمان وعدمه، والطاعة، والعصيان، وموقف النبي محمد صلى الله عليه وسلم- الذي يجسد موقف الأديان كلها في ابتهااله في الآيتين بقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٤٠)

فالسباق يتبين هنا أنه (نداء) (٤١) خاشع... في تركيبه اللفظي إيقاع الدعاء. وفي ظلاله المعنوي روح الابتهاال. وفي التفاتاته إلى كتاب الكون المفتوح استجاشة للمشاعر في رفق وإيناس، وفي جمعه بين تدبير الله وتصريفه لأمر الكون إشارة إلى الحقيقة الكبيرة: حقيقة الألوهية الواحدة القوامة على الكون والناس، وحقيقة أن شأن الإنسان ليس إلا طرفاً من شأن الكون الكبير الذي يصرفه الله وأن الدينونة لله وحده هي شأن الكون كله كما هي شأن الناس) (٤٢)

فيجب أن يكون الابتهاال لله وحده لا شريك له في الحياة على الإطلاق وبين لنا في التعبير التصويري لهذه الحقيقة الكبيرة في قوله تعالى: ﴿ تُولِيحُ أَيْلَلٍ فِي النَّهَارِ وَتُولِيحُ النَّهَارِ فِي أَيْلَلٍ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٤٣) فـ(التعبير التصويري لهذه الحقيقة الكبيرة يملا بها القلب، والمشاعر، والبصر، والحواس: هذه الحركة الخفيفة المتداخلة، حركة إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي... الحركة التي تدل على يد الله بلا شبهة ولا جدال، متى ألقى القلب إليها انتباهه، واستمع فيها إلى صوت الفطرة الصادق العميق) (٤٤)

وتتبين حقيقة الابتهاال في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴾ إنها اللمسة التي ترد القلب البشري في الابتهاال إلى الحقيقة الكبرى، حقيقة الألوهية الواحدة في الابتهاال له، ثم حقيقة أن الدينونة لا تكون إلا لله القيوم، مالك الملك، المعز المذل، المحي المميت، المدبر لأمر الكون والناس بالقسط والخير على كل حال (٤٥).

## الخاتمة

بحمد الله وبركاته ختمتُ بحثي هذا، والذي عشتُ في رحابه رحلةً ممتعةً مع الله، وكلامه العظيم، والذي توصلت به إلى النتائج الآتية:

إن الدعاء هو تعبير عن ظاهرة روحية مستقلة تنطلق من إحساس النفس المؤمنة بعظمة من تلجأ إليه، فالدعاء هو أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك إلى الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة.

أما الابتهاال فهو التضرع والتذللُ إلى الله، والمبالغة في السؤال.

تناول البحث مبحث الدعاء، وتوصلت فيه إلى سياق الحال، والسياق التربوي، وقد وضحت في سياق الحال، حال المسلمين في الدعاء أنه كما ورد الدعاء على لسان الانبياء، ورد على لسان المؤمنين إلى ربهم.

أما السياق التربوي فقد ناقشتُ فيه مجال التربية للجماعة المسلمة التي يكشف لها البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تتضبط باليقظة الدائمة.

أما المبحث الثاني: فقد أختص بالابتهاال، وقد جاء الابتهاال متسقاً بدأ بوصف أحوال العباد من حيث الإيمان وعدمه، والطاعة، والعصيان وموقف النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي يجسد موقف الأديان كلها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربُّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

الباحثة

- (١) الصحاح: للجوهري مادة (دعا) ٢٣٣٧/٦، وينظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس مادة (دعو) ٢٧٩/٢، وأساس البلاغة: للزمخشري: مادة (دعو) ٢٨٨/١، ولسان العرب: لابن منظور: مادة (دعا) ٢٥٧/١٤، والقاموس المحيط للفيروز آبادي: مادة (دعا) ١٢٨٢/١، ومفردات الراغب: للأصفهاني: ١٧٠/١.
- (٢) عدة الداعي: لابن فهد الحلي: ١٢.
- (٣) ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي: ٢٦٦/٥.
- (٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للحموي: ١٩٤/١.
- (٥) آل عمران: الآية: ٧
- (٦) آل عمران: الآية: ٨
- (٧) روح المعاني: للآلوسي: ٨٧/٢.
- (٨) اللغة العربية معناها ومبناها: د.تمام حسان عمر ٣٣٧/١.
- (٩) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٦٩/٣.
- (١٠) آل عمران آية: ٨.
- (١١) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٧٠/٣.
- (١٢) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧١/١.
- (١٣) آل عمران: الآية: ٨.
- (١٤) آل عمران: الآية: ٧.
- (١٥) آل عمران: الآيات: ١٠-١٣.
- (١٦) يحدد في شروح التلخيص أن الأمر: هو طلب فعل طلباً جازماً على جهة الاستعلاء، ينظر: شروح التلخيص ٣٠٨/٢، والأساليب الإنشائية: د.صباح دراز: ص ١٥، وأساليب بلاغية: د. أحمد مطلوب: ص ١١، ومعنى الاستعلاء: (عد الأمر نفسه عالياً سواء كان عالياً في نفسه أم لا، مختصر السعد، ضمن شروح التلخيص: ٣١٢/٢.
- (١٧) آل عمران لية: ١٢.
- (١٨) آل عمران آية: ١٤.
- (١٩) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧٣/١.
- (٢٠) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧٣/١.
- (٢١) سورة آل عمران: الآيات: ٢١-٢٥.
- (٢٢) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧٧/١.
- (٢٣) ينظر: جامع الأصول: لابن الأثير: ١٤٧/٤.
- (٢٤) لسان العرب: لابن منظور: ٢٢٢/٨.
- (٢٥) آل عمران آية: ١٤.
- (٢٦) آل عمران آية: ١٥.
- (٢٧) آل عمران آية: ٢١.
- (٢٨) آل عمران آية: ٢٦.
- (٢٩) آل عمران آية: ٢٨.

- (٣٠) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٢٩/٣.
- (٣١) آل عمران آية: ٢٠.
- (٣٢) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٢٩/٣.
- (٣٣) آل عمران آية: ٢١.
- (٣٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٣١/٤، ١٣٢.
- (٣٥) المصدر نفسه: ١٣٢/٤.
- (٣٦) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧١/١.
- (٣٧) آل عمران: الآيتان: ١٧ و ١٨.
- (٣٨) ينظر: روح المعاني: للأوسى: ٩٩/٢.
- (٣٩) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٣٢٨/٣.
- (٤٠) آل عمران آية: ٢٦.
- (٤١) يحدد د. أحمد مطلوب ود. حسن البصير معنى النداء بقوله: (هو للتصويت بالمنادى ليقبل، أو هو طلب إقبال المدعو على الداعي)، البلاغة والتطبيق: ص ١٤٠، كما يرى السيد أحمد الهاشمي النداء هو (طلب إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي)) جواهر البلاغة: للسيد أحمد الهاشمي: ص ٨٢.
- (٤٢) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٨٤/١.
- (٤٣) آل عمران آية: ٢٧.
- (٤٤) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٨٤/١.
- (٤٥) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٨٥/١.

## المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٢. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغة في القرآن: د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة بمصر، ط/١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣. أساليب بلاغية: د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات بالكويت، ط/١، ١٩٨٠م.
٤. البلاغة والتطبيق: د. أحمد مطلوب، ود. حسن البصير، ط/٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٩م.
٥. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
٦. جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، التتمة، تحقيق: بشير عيون الناشر: مكتبة الحلوني، مطبة الملاح: مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٠هـ-١٩٧٠م.
٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: السيد أحمد الهاشمي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٨. حاشية الدسوقي على مختصر السعد: محمد بن محمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ)، طبع ضمن شروح التلخيص، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الأوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، ١٤١٥هـ.
١٠. شروح التلخيص: طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.
١١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٢. عدة الداعي: أحمد بن فهد الحلبي (ت ٨٤١هـ)، تحقيق: أحمد الموحي، بدون طبعة.
١٣. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط/١٧، ١٤١٢هـ.

١٤. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت - لبنان، ط/٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٥. الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار النشر، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٦. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ.
١٧. اللغة العربية معناها ومبناها: د.تمام حسان عمر، عالم الكتب، ط/٥، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
١٩. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٠. مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٣، ١٤٢٠هـ.
٢١. مفردات غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، موقع يعسوب.